ليلة القدر

كان "إسماعيل" قد عودته أمه على صيام رمضان منذ أن كان في الخامسة من عمره ، واعتاد أيضا على الصلوات الخمس يؤديها في أوقاتها في المسجد، وتعهدت بمتابعته حتى لا يفتر أو يتعرف على رفقاء سوء فيبعدونه عن الصلاة ، فإذا ما سها عن فريضة ذكرته ، وظلت وراءه باللين حينا وبالشدة حينا حتى اعتاد على الصلوات فكان يؤديها بعد ذلك دون رقيب ، وذات ليلة من ليالي رمضان استيقظ من نومه فوجد أمه وأخته قائمتان تصليان في جوف الليل، فسألهما بعد أن سلما من صلاتهما :

ـ ماذا تصليان؟ ألستما قد صليتما العشاء قبل النوم ؟

فأجابت أمه وقد أشرق وجهها بالنور:

ـ هذه ليلة القدر يا "إسماعيل" ، قم وتوضأ لتصلي معنا .

فسألها "إسماعيل" عن ليلة القدر ماذا فيها من خير عن بقية الليالي فقالت له أمه:

ـ ألست حافظاً للقرآن ؟

فرد إسماعيل بلهجة الواثق :

ـ الحمد لله .

فقالت له:

ـ ليلة القدر مذكورة في القرآن بأنها خير من عبادة ألف شهر .

فشمر وتوضأ وصلى بهما حتى وقت السحور ، فقالت له أمه :

ـ اصعد يا إسماعيل كي توقظ زوجة أخيك لتتناول معنا السحور .

كان البيت بالطوب اللبن يعيش أفراد الأسرة في حجرتين، والأخ الأكبر وزوجته يعيشان في حجرة فوق السطح تعرف في الريف بالمقعد، وكان أخوه يذهب إلى عمله في أول الأسبوع، ويعود في نهاية الأسبوع، وزوجته تنام في غرفتها ، لكنها تأكل وتشرب مع الأسرة .

صعد "إسماعيل" السلم حتى وصل إلى نهايته ثم رأى عجبا نظر في السماء فوجد نجمة ساطعة فوق رأسه وأخذت النجمة تكبر وتكبر، وتقترب من رأسه حتى بلغت في استدارتها حجم الغربال وهبط من هذه الدائرة عمود من النور حتى بلغ سطح المنزل .. تسمرت قدماه ووقف يتأمل هذا النور الباهر الرهيب ، الذي يكاد يعشي العين من شدة توهجه، وأحس بقشعريرة رجت جسمه كله فصرخ بأعلى صوته :

ـ أمي .. أمي .. أختي ..! تتـ .... ، لم يستطع النطق مرة ثانية، فوجد النور قد انطفأ فجأة مع خروج زوجة أخيه من غرفتها بعد أن سمعت صراخه، فسألته وقد بدت ملامح الضيق على وجهها كأنما تنهره :

ـ لماذا تصرخ ياولد ؟

قال وهو يرتعد فرقا وخوفا :

ـ لا شيء .. أنا... أنا كنت أريد أن تستيقظي للسحور .

وبينما زوجة أخيه تسأله إذ بأمه وأخته تصعدان السلم لاهثتين، وتسألانه في حيرة عما أخافه وجعله يصرخ لكنه لم يرغب في الحديث عما أرهبه وأخافه أمام زوجة أخيه، إذ كان يراها شيطانا ولا يصح أن يتحدث أمامها فيما رآه ، وفي الصباح سألته أمه عما أخافه بالأمس فروى لها ما رآه ، فابتسمت في هدوء وقالت :

ـ هذه هي ليلة القدر يا شيخ "إسماعيل" جاءت لك وحدك ، وكانت أبواب السماء مفتحة لك لو دعوت بأي دعوة لاستجيبت دعوتك في الحال .

ـ ولماذا اختفت فجأة ؟

ـ اختفت لأن زوجة أخيك خرجت في هذا الوقت ، وأنت تعرف أنها لا تصلي .

أحس إسماعيل بالفرحة لأنه الوحيد في أسرته الذي رأى ليلة القدر، وحزن لأنه لم يستطع الدعاء ، وظلت في عقله زوجة أخيه هي السبب في فوات هذه الفرصة عليه وعلى أمه وأخته ، كان يتمنى لو استطاع أن يتمالك نفسه ويدعو بما شاء ، ويتمنى أيضا أن لو كانت أمه وأخته قد شاركتاه في هذا الإحساس الجميل والرؤية المبهجة ، كل هذا كان يمكن أن يحدث لو لم تخرج زوجة أخيه في هذا الوقت .

******